الكاتبة حفصة حسين بن شيهون

هي فتاة يمنية عاشت في ظروف مشابهة لكل فتاة وُلِدَتْ في اليمن، ترعرعتْ في ظروف معاكسة تمامًا لما حلمتْ به، قلب عنيد ذاك الذي امتلكتْه؛ إذ جازف بكل شيء آملًا أن يري العالم ما بمقدوره الإصرار على فِعله أمام ما قيل عنه مستحيلًا.

حينما أتمّتْ كتابة خمس قصص أكثر مِن ملهمة، يكتفي القارئ بها عمَّا سواها، أرادتْ جمعها تحت قضية إنسانية مهمة جدًّا، ألا وهي إخبار العالم عن كيان صامت مخبأ وراء الأستار والخوف، عن محاربين عُزَّل لا يمتلكون سِوَى الصبر آملين أن يصل صوتهم للعالم الذي قلما يشعر بوجودهم، تلك الرسالة تناثرت في فصول الرواية؟ مشكلة القصة السادسة لفتاة يمنية محجبة حلمتْ بحصول مَن مَثَّلَتْهم على بعض الحرية والاحترام.

الإهـــداء

إلى الفئة المختفية خلف أستار الحجاب..

وإلى الأمة المتوارية خلف أظهُر الرجال.

إلى الكيان الذي أتيتُ أنا منه...

حفصة حسين بن شيهون

حُلْمُ محَجَّبَة

AUSTIN MACAULEY PUBLISHERS™
LONDON * CAMBRIDGE * NEW YORK * SHARJAH

حقوق النشر © حفصة حسين بن شيهون (2021)

تمتلك حفصة حسين بن شيهون الحق كمؤلفة لهذا العمل، وفقًا للقانون الاتحادي رقم (7) لدولة الإمارات العربية المتحدة، لسنة 2002م، في شأن حقوق المؤلف والحقوق المجاورة.

جميع الحقوق محفوظة
لا يحق إعادة أنتاج أي جزء من هذا الكتاب، أو تخزينه، أو نقله، أو نسخه بأي وسيلة ممكنة؛ سواء كانت إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نسخة تصويرية، أو تسجيلية، أو غير ذلك دون الحصول على إذن مسبق مِن الناشرين.

أي شخص يرتكب أي فعل غير مصرح به في سياق المذكور أعلاه، قد يكون عرضة للمقاضاة القانونية والمطالبات المدنية بالتعويض عن الأضرار.

الرقم الدولي الموحد للكتاب 9789948452317 (غلاف ورقي)
الرقم الدولي الموحد للكتاب 9789948452188 (كتاب إلكتروني)

رقم الطلب: MC-10-01-3325616
التصنيف العمري: 17+

تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقًا لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام.

الطبعة الأولى (2021)
أوستن ماكولي للنشر م. م. ح
مدينة الشارقة للنشر
صندوق بريد [519201]
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة
www.austinmacauley.ae
+971 655 95 202

شكر وتقدير

إنني هنا أَوَدُّ أن أشكر الله، وأشكر كل مَن وما حولي، فلولاهم لما امتلأتْ عيناي بصور بديعة تحْمل كل معنًى يهتف بالحنين الزاخر والشوق المتألم، يحكي عمَّا يجهله العالَم مِن خفايا القلوب، قلوب صبرتْ كثيرًا تحت حقيقة أن هذه الأرض ليست الجنة، وأن ثَمن الجنة هو الصبر، إنها القلوب؛ لذا فهي ليستْ مرئية، ولها قصص مذهلة تخطف الاهتمام، وتجعلك تذرف دموعًا لا إرادية.

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله مالكنا وجاعلنا ممَّن اهتدَوْا إلى دينه الحنيف، وأحبُّوا نبيه المصطفى العفيف، وأتلوا جبينهم لطاعته في الثقيل والخفيف، وجعل دينه لمن سار به رصيفًا، ولمن زاره مضيفًا، وبمَن عاشه لطيفًا، والصلاة على النبي والتابعين ما تكرَّر الخريف على مدينة وريف، وبَعد...

أود أن أتكلم هنا وأفصح عن أن كل هذا ليس أنا، وإنما هو ذلك القلب، أود أن يسكت عن ثرثرته التي لاحقتْني لأعوامِ عمري، وأود أن أكون هنا كمَن يصف حالة قلبه، إنه قلب بذل كل مجهوده بغية أن يسمع أحدٌ صوته، إنه صاخب عنيد.

لطالما عشق ذلك القلب التأمل، لطالما جعل إطار بصري يضمّ صورًا تحكي كل شيء، تمنيتُ لو أحيط تلك الصور بإطار، إنها صور مذهلة، صور تجعل القلب يمنعك من الهمس في أُذن الورق، يريد منك أن تكون صاخبًا.

كفتاة يمنية إذا بدتْ لا تبدو إلا مِن وراء حجاب، وقد جاءت مِن ريف بسيط، ومِن دولة محطمة، وعاشتْ حياة متعبة، في قبيلة عريقة، وفي أسرة كبيرة، وجدتْ نفْسها وسط عالَم مِن الأحلام الرائعة، لا المستحيلة، لعل الأمل لا يزال فيه وهج مِن نور واضح أحيط بالظلام، كَقَمَرِ سماء قريتي، وكأمّي التي أهدي لها كل هذا.

تمهيد

الطائر الغريب الذي صاح ليلتها بِاسْم ابنه لم يكن خيالًا، آمنتُ بالقصة تمامًا كما أخبرتْني بها والدتي، فالغريب أن القصص الخيالية قد تكون حقيقة، وذلك حينما تستشعرها بحواسِّك، وتبقى سجينًا للإلهام.

الرواية الأولى

ثرثر طويلًا حول تفاهات أنه مكسور، وأنه يريد التحطُّم كليًّا..

- كفى، أرجوك حدِّثْني من أحاديثك.

كانت هذه أول مرة أدعوه فيها للحديث، صمت لأول مرة مفاجِئًا إياي بذلك:

- أتخاف مِن الفشل؟ إذًا فلنفشل معًا، فلطالما كان الفشل طريق النجاح الوحيد، وعظماؤنا اليوم هم مجانين الماضي، تمامًا يتعرضون لما نتعرض له أنا وأنت، مثلنا، ولكننا لن نكون مثلهم، فَهُمْ عظماء.

- سأحدثك عن ذلك الصبي (عُمَر).

استمعتُ إليه بإنصات، بدأ يُظهر ومضات، بدأ يُظهر ومضات حيَّة جعلني أعيش معها في قصصه الفريدة.

عمر الملك

في منزل بسيط، في قرية أبسط، وفي سهول قاحلة.. في كل مرة كانت تبتسم في وجهه، كان هو يعبس بدوره في وجهها **ويصرخ:** في المرة القادمة أريد ولدًا وإلا تزوجتُ أمام عينيك، وجعلتُك تخدمينها أنتِ وبناتك.

الصمت ليس خيارًا وحيدًا، بل طريقًا وحيدًا، سلكتْه وحملتْ للمرة الخامسة على التوالي، بِوَجْه متعب وجسد نحيل، زارت المستشفى المجاني في سوق المدينة وهي تحمل أملها في بطنها – حقاً لقد رأيتُها – تتألم وتمسك وركها بقوة وتتأوه.

الطبيبة: لن تلدي الآن، ولا حتى بعد عشر ساعات، ولكن مِن المحتمل أنه في الغد.

باتت هناك ليلتها، **كانت تدعو وترجو وتتوسل:** يا ألله، يا رحمن، يا رحيم، أبْقِني لبناتي.

تقف لبرهة أمام النافذة في غرفة الأسرة، حجبت عنها الأضواء كثيرًا مِن النجوم، ولم يكن القمر هناك، لكن الله هناك وهو يسمعها.

كانت تناجي ربها: سامحني.. لن أقدر على الحمْل مجددًا، أنت تراني ولا يخفَى عليك يا رب حالي.

لم يسمح لها الألم بالوقوف طويلًا، فقد كانت تمشي وتمشي، وتعود للوقوف أمام النافذة، **وتواصل الدعاء:** ارزقني صبيًّا، اجعله ولدًا، وخُذ بخاطري أتوسل إليك.

قضتْ ليلتها على هذه الحال، وفي ظهر الغد حيث الشمس في كبد السماء، كان يخالط الحَرَّ شيءٌ مِن النسيم البارد، والناس يتحدثون عن أسراب الجراد، ويبيعون الكثير منها في السوق بعد سَلْقها مِن الأرياف المترامية أطراف المدينة.

لقد وضعتْ مولودها، ظل الخشوع والخوف يحيط بها، وبدا ذلك جليًّا في ملامحها.. إنه صبي! مبارك، حصلت على صبي هذه المرة.

بقيتْ لبرهة صامتة، لم تصدق إلا حينما وضعْنَه على صدرها، وهو يحرك رأسه ويمص لسانه باحثًا عن شيء في صدر أمه.

نسيتْ ساعتها كل شيء، ومزقت صفحات ماضيها المكتوب فيها ما كُتب، وبدأتْ قصة حياة جديدة، لم يكن طفلها هو الوحيد الذي وُلِدَ يومها، ولم يكن الوحيد أيضًا الذي بدأ صفحات حياته ذلك اليوم، بدآها معًا، عادت توًّا إلى المنزل، وكان الجو بالنسبة إليها باردًا، عادتْ بِوَجْه مبتسم، وجه آخر على غير العادة، تشعر برغبة في الحديث والمزاح والضحك، بعكس الماضي، وتشعر بالفخر والاعتزاز، فلطالما شوهدت (مؤنسة) وهي تنظر إلى السماء، وتقف قليلًا، وتبتسم ابتسامة يصحبها لمعان في عينيها، ثم تواصل ما كانت قطعته، ذلك التصرف هو الحمد والشكر.

كانت ترغب في تسميته (حيان)، ولكن والده أحب أن يسميه (عُمَرَ)؛ وذلك لأنه أعطى للوالدين عمرًا جديدًا، حيث سيستمر نسلهما واسمهما، هكذا سُمِّيَ (عمر) بما معناه "عُمْرٌ جديد".

مرَّتْ ثلاث سنوات سريعًا، وأصبح عُمْرُ عُمَرَ ثلاثة أعوام، ثلاث سنوات تعاقبتْ خلالها الفصول، وهاجرت الطيور ثلاث هجرات.

بدا على عمر خلال السنة الرابعة آثار إعاقة دماغية، كان قبل ذلك جميلًا ولا يبدو عليه ذلك.

الأم: يا إلهي، كل مخاوفي تحدث.. لمْ يحدث هذا مع أي مِن بناتها الأربع، عُمَر يكبر ويكبر ويتلعثم في الكلام، ويلعب بصخب ويتعب والدته.

في قلوب أولئك الناس صبر لا حدود له، فالحياة قاسية، والفقر يعمُّ كل تلك البيوت البسيطة، لكن كل تلك الفضائل تصنع الروح وتهذب القلوب، ولا تترك الوقت للدماغ كي يصاب بأمراض نفسية كل صباح وكل مساء، وليس هناك أي شكوى ولا حتى احتجاج، فقط صبْر وشُكر.

عمر يلعب بصخب، وأفعاله الغريبة لا تشابه أترابه، وكلماته ذاتها غريبة، ولا تناسب المواقف التي يقولها فيها.

والده يردد ضاحكًا: إنه يشبهني في الخِلقة، ويشْبه أمه في العقل.. كان يقصد بذلك سماع رد زوجته، لكنها وكعادتها لا ترد أبدًا.

أضاف الأب فيما كان عمر يأكل بنَهم: ألا تَرَيْنَ أنه ورث هذه التصرفات منكِ أو حتى مِن نسبكِ؟ كان هذا سؤالًا، ويستوجب الردَّ مِن الزوجة.

قالت: ربما سيكبر ويصبح أعقل، وقد يصبح أفضل رجل، يتوجَّب علينا أن نصبر على صغره، هكذا هم الصغار.

سكت الأب كعادته، هكذا تنهي الزوجة الحديث بدون شجار.

أطلَّ عمر ليلتها مِن النافذة الحديدية، **وقال:** في السماء نقاط تلمع!

أمه: هسس، اسكت، إنه الليل، أتظن نفسك في أمريكا؟

أحستْ أخته الكبرى بأن والدتها قاطعت كلمات مهمة، **فقالت:** عمر، أليست جميلة؟

رد عمر في صراخ رهيب: إنها قبيحة، تمامًا مثل أمي ومثلكِ.

يا للغرابة يا عمر! يمضي الناس أيامهم ولياليهم، ولكن والدة عمر كانت تقضي أيام عمر ولياليه، لم تتفرغ لنفسها منذ وُلِدَ عمر.

يلاحق عمر العصافير فوق تلك المباني القديمة المهجورة، ويسقط مِن أحدها، منازل قديمة، سافر أهلها منذ زمن بعيد أو بَنَوْا غيرها، أو حتى ماتوا ولم يعد في تلك المباني سِوَى أعشاش الطيور.

وصل الخبر سريعًا إلى والدة عمر، **رددتْ في نفسها فزعة:** سيقتلني والده إن علم.

كان الصراخ يملأ الشوارع، عمر سقط مِن فوق المنزل القديم، غطتِ الدماء رأسه، وأسعفه الشبان في ذلك الحي إلى أقرب عيادة هناك، خاط الجرح ذلك الطبيب، وتأسَّف لأجل والدة عمر؛ إذ إن عمر زاره مرات عديدة بسبب كثرة سقوطه، طمأنهم إلى أنه لا يحتاج إلى المستشفى، وعاد عمر إلى المنزل فاستقبلته والدته بالعناق والتقبيل، رغم غضبها منه، إلا إنها لم تزده ألمًا فوق ما يشعر به.

أم عمر: بُنَيَّ.. لكم مرة حَدَّثْتُكَ ألا تذهب تجاه تلك الدُّور؟ ماذا لو أن السقوف انهارت فوقك؟ ماذا لو انهار تحتك؟ ظلت تلومه بلطف، لكنه جنوح صغير غير مهذب ولا عاقل.

عاد الأب قُبيل الغروب إلى المنزل، ورأى عيون زوجته تحملق بعيدًا عنه، وتخفي وجهها منه، كان عمر في زاوية المطبخ على فِراش صغير ورأسه مُضمد.

سأل الأب: ماذا حدث؟

نرى الآن والدة عمر تبكي بصمت؛ وذلك لأن زوجها قبْل لحظات لام عليها كثيرًا، وقبض عليها مِن شالها، **وهددها قائلًا:** إذا خسرتُ ابني بسبب قلة اهتمامك، فلن تبقي في منزلي هذا دقيقة واحدة، معلوم عندك أنك ستأخذين بناتك معك حينها، وذهب لينام تاركًا الطعام في آنيته، والشراب في زجاجته.

ماضي الأب لم يكن مرضيًا، فالأب عانى في صغره كثيرًا، وهناك حيثما نراه ساكتًا على فرش النوم، استلقَى وهو يفكر فيما مضى، تراءَى له ذلك الصبي المسكين، مات جد عمر إثر منشار كهربائي قطع أذرعه ومات نزفًا، استغرق الأب في تفكيره، وتذكَّر كم أن ذلك الصبي كان مظلومًا معدمًا، حينما وصل خبر موت ذلك الرجل الهمام بمنشار؛ بكت زوجته بحرقة، لكنها سرعان ما بحثتْ عن غيره، وسافرتْ بعيدًا.. بعيدًا عن ذلك الصبي المسكين.

منزل تلك العائلة كان يعج بالصبيان، لكن ذلك الصبي كان مختلفًا، تمنَّى طوال فترة طفولته امتلاك ما كان يرى بعينيه أترابه وأبناء عمومته يمتلكون، لكن أمنيته لم تتجاوز وجود أب وأم إلى جانبه، تذكَّر كم كان يشعر بالبرد أثناء نومه؛ لأنه رمى بالغطاء عن جسده إثر كثرة تقلبه، **وكان يقول:** لو بقيتْ أمي هنا لغَطَّتْني في الليل، ولكن كل ذلك تلاشى مع مراهقة متعبة، لم يدخل قط جيب ذلك الصبي المشقوق فِلْس واحد، إلى اليوم الذي عمل فيه في محطة لملء السيارات بالوقود، بجانب المحطة يوجد كثير من أوساخ الزيوت، إنها ورشة لتصليح السيارات.

بدأ صاحب الورشة يستخدم ذلك الصبي في مناولته ومساعدته في أشياء عديدة، أضحى ذلك الفتى رجلًا تجاوز العشرين، وفَهِمَ كل ما يتعلق بهذه المهنة، وأصبح صاحب

الورشة العقيم عجوزًا، وبقي ذلك الشاب يعمل وحده هناك بأجْر كل سيارة يقوم بإصلاحها، إلى اليوم الذي فرح العجوز بتزويجه ابنة أخته لذلك الشاب اليتيم، وأعطاه منزله الصغير، وعاش في دار العائلة القديم مع زوجته وأخته التي كانت أرملة.

فُتح باب الغرفة، فانقطع حبل أفكار والد عمر فجأة وهو يدير ظهره عن الباب، ويبحث عن النوم، مع رغبته في تناول شيء ما يسدُّ به جوعه.

نامت والدة عمر في قلق شديد، ونام عمر وهو يحكُّ موضع الخياطة حتى جَرح نفسه خلال الليل، وفكتْ من على رأسه أربطة الضماد.

أصبح عُمْر الولد الآن سبع سنوات، ووالداه أُمِّيَّان عدا بعض الأرقام التي كان يحتاج الأب لكتابتها في طلب بضاعة لورشته.

إنه عام دراسة عُمَر في المدرسة، أخته الكبرى تعلمَتِ القراءة والكتابة إنها تدرس في الخامس الابتدائي، هي ليست متفوقة، ولكنها تعلمت القراءة، وفوق كل هذا كانت تلتزم بأعمال المنزل كثيرًا، وتقوم على شأن إخوتها الأصغر منها سنًّا، وهي تحاول تعلُّم مهنة الخياطة في المدرسة البعيدة.

ذلك الصباح أمسكت بيد أخيها ومضت تجاه المدرسة سيرًا، قطعت معه أحياء كثيرة، وأخواتها كن يجرين مع صاحباتهن في الأزقَّة والممرات، واختفين مِن أمام عمر بسرعة كبيرة..

- أسرِعْ يا عمر، دعك مِن التلفُّت، سَتَمَلُّ كل هذه المناظر قريبًا، هيَّا، رَكِّزْ على مِشيتك واجعلها أسرع.

- حسنًا.

بدأ عمر يركز على مشيته، كان يُفارق بين الخطوات كثيرًا، وكأنه سيصبح هكذا أسرع.

- عمر.. أرجوك لا تفعل هكذا، سنتأخر، قارب خطواتك وكن سريعًا، هيا.

في النهاية جرت هي وهو حتى انقطعتْ أنفاسهما الصغيرة، وصلا إلى المدرسة التي أغلقت أبوابها.